# شكوكٌ مؤكّدة

العام 3090

العالم تغيّر؛ لم يعد كما نعرفه، نحن - الآن - مطاردون نتخذ من الجبال بيوتًا، نجاور الأفاعي والعقارب، تذهب مجموعة منّا كلّ فترة خلسة إلى المدينة، لتحضر مستلزماتنا ومستلزمات الآخرين، تتغيّر المجموعة كلّ مرة؛ حتّى لا يلاحظها حرّاس المدينة، فمن يوقعه حظّه السيء في يد الحراس أو أهل المدينة، لن نراه بعد ذلك، ولن نعلم عنه شيئًا، مثلما حدث مع عمي «سعد» وغيره من المطاردين، اليوم ستكون المرة الأولى لي في الذهاب مع المجموعة.. تختلج في نفسي مشاعر مضطربة وشكوك وأسئلة تنتظر العديد من الإجابات، ولدت بعد زمن الطرد الأول تربيت على يقين بوجود الخالق الأعظم، وعلى حكايات لرجال بعثوا برسالات مختلفة، وعلى وعد بيوم يحاسب فيه الجميع، وينعقد فيه الميزان، أخبروني أنّ أهل المدينة نسوا كل ذلك تمامًا، وتمرّدوا على خالقهم، وأنكروا الرسل والرسالات، واعتنقوا دينًا جديدًا اسمه الحرية المطلقة، ليس فيه أوامر أو نواهٍ، لا يوجد حساب أو ميزان، ينظّمون حياتهم بقوانين وضعية

تحـرّم السـرقة والاغتصـاب وذبـح الحيوانـات، فهـم لا يأكلـون اللحـوم.

تحـثّ القوانـين علـى النظافـة والنظـام واحـترام قواعـد المـرور، أمـا مـا دون ذلـك فهـو مسـموح؛ إذ يفعلـون كل مـا يحلـو لهـم، بـدأ الأمـر بالاضطهـاد ونعتنـا بالتخلّـف والرجعيّـة والحـرب غـير المعلنـة؛ حتّـى أصـدر كـبراء المدينـة قانـون الطـرد الأول، الـذي نـصّ علـى خروجنـا جميعًـا «كل مـن يؤمـن» خـارج حـدود المدينـة، مـع قطـع العلاقـات معنـا تمامًـا، وتركنـا لمصيرنـا.

قصـة توارثناهـا، ولكـن لم يـر أحـد منـا أنـا وأصدقائـي المدينـة، ننتظـر اليـوم الـذي نشـب فيـه؛ لندخلها خلسـة مـع أي مجموعة مـن مجموعـات شـراء المسـتلزمات؛ لنتاجـر بمـا نصنعـه في كهوفنا متظاهريـن، بأننـا منهـم؛ هربًـا مـن الحـرّاس، وبالفعـل ذهبـت يومًـا أنـا مـن ضمـن المجموعـة، وعبرنـا البوابـات بهويّـات مـزوّرة، وكأنّنـا عبرنـا إلى زمـن آخـر وعـالم آخـر، الرجـال يقفـون علـى النواصـي كلّهـا، يضحكـون بأصـوات عاليـة، يمزحـون بأفظـع الألفـاظ والتشـبيهات، مـن دون أن يثـور أحدهـم لكرامتـه وعرضـه.

هنـاك كائنـات تشـبه الرجـال، ولكنهّـم يرتـدون ملابـس نسـائية ويتحرّكـون، ويتكلّمـون بنعومـة ودلال، لا يليـق إلّا بالنسـاء.

أما النساء فهن عاريات أو شبه عاريات، يتباهين بأجسادهن المشوقة ووجوههنّ البلاستيكية المتشابهة، يضحكن ضحكات رقيعة، تطرب لها أذان الشباب، وتهفو لصويحباتهم قلوبهم، شباب غريب يرتدي ملابس ممزقة بشعور مشعثّة، وسلاسل عديدة تتدلى من رقابهم، يتشابهون في الشعث والتهلهل، وإن اختلفت أشكالهم، علمت - الآن - لماذا ارتدينا ملابسنا القديمة الممزّقة؛ لنذوب في وسط هذا المجتمع.

توجّهنا لصديقنا التاجر المتستّر في الظاهر بمظاهر الحياة المدنيّة، والذي يمدّ لنا يد العون هو وأجداده من قبله، والذين لولاهم لما حيينا حتّى هذه اللحظة.

تناقض مظاهر الحياة كان سمة أساسية للمدينة، فهناك الأغنياء شديدو الغنى، وهناك الفقراء مدقعو الفقر، إلّا أنّ الجميع اتفق على التهتّك والفجور المعلن فلم يعد هناك حاجة لستره فالمدينة تسمح به بضفته وصية من وصايا الدين الجديد، فما دام الجميع يوافق، وكلّ شيء معلن، فلا مانع.

المدينة براقة شديدة الجمال نظيفة ومنظّمة، فيما عدا مشهد مخلّ هنا أو هناك أو في هذه الناحية أو تلك، حتّى ملصقات الأفلام أسماؤها فاضحة وصورها تضرب الحياء في مقتل... ّحياء أي حياء؟

أخبرني جدّي أنّ أوّل البلاء كان نزع الحياء، ومن ثم توالت الابتلاءات، ولم ينتبه أحدٌ لذلك، ومن انتبه؛ هاجمه أهل المدينة متهمين إياه بالكذب والرجعية والتخلّف.

المهم اشترينا كلّ ما يلزمنا، ولكنني تأخرت عن المجموعة لرغبتي في استكشاف المدينة، حذّرني قائد المجموعة، ولكنّني تمسكت برغبتي فتركوني ورحلوا، أسئلة عديدة تعصف بذهني تبحث عن إجابات.

هل سيظل الحال كما هو؟ أيوجد من أهل المدينة كم هم مثلنا، ولكنّهم يخشون عواقب انكشافهم؟ هل لهذا العبث أي نهاية؟ هل - هناك - ثمّة أمل في التغيير؟